

الملامح الجمالية في خطاب القرآن للآخر

Aesthetics of the Quranic speech towards others

الكور السالم بن المختارالحاج

تاريخ الاستلام: 2022/05/05 تاريخ القبول: 2023/04/14

Abstract:

The research tackles the aesthetics of the Quranic speech about dealing with the other. This requires answering some questions, mainly:

- What are the values set by the Quran to deal with others?
- How can we represent these values?
- What are the results of this representation?

Answering these questions deals with the topics of the Prophet's guidance and the set of values established by the Qur'an, while evoking some of the aesthetics that are the result of these values.

The Islamic history is well-known for tolerance, acceptance of others, and respect of human dignity that are all narrated in the text.

- 1- Deal with others based on values: charity and justice based on the holy text "Dealing kindly and fairly with them".
- 2- Deal with difference since it is a natural law and a firm reality. Natural laws do not change or alter.
- 3- Reject compulsion because faith is based on choice and empowerment, and not oppression or force. This is the beauty of the Quranic text: "Let there be no compulsion in religion, for the truth stands out clearly from falsehood" (Al Baqara: 256)
- 4- Start from a contractual and moral common to reach a common speech in order to establish social peace: And say, "We believe in what has been revealed to us and what was revealed to you. Our God and your God is only One. And to Him we fully submit." This means to invest in the contractual common, the moral and the interest common.
- 5- Adopt evidence based on reason and logic as a reference and argument
- 6- **Keywords:** aesthetics, Quranic text, kindness, compulsion

المؤلف المرسل: الكور السالم بن المختار الحاج-كلية الشريعة وتادراسينم لإسلامية
جامعة قطر.

البريد الالكروني: ksmaleg2008@gmail.com

المخلص:

يتناول البحث الملامح الجمالية في القرآن توطئة لتناول ملامحه الجمالية في

خطاب الآخر، مما يتطلب الإجابة على عدة تساؤلات من أهمها:

- أين تتجلى القيم الجمالية في النص القرآني؟ وأين تتجلى قيمه الجمالية في

خطاب الآخر؟

- ما هي القيم الضابطة لتعامل القرآن مع الآخر؟

- وكيف تتمثل هذه القيم؟ وما هي نواتج ذلك التمثل؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات تتناول ما تعنيه تلك المواضيع من استرشاد بالهدي النبوي، وتمثل لمنظومة القيم التي أرسى دعائمها القرآن، مع استحضار بعض الإشراقات الجمالية التي كانت نتاجا لهذه القيم مما خلده التاريخ الإسلامي من صفحات مضيئة ومفعمة بالتسامح وتقبل الآخر، واحترام للكرامة البشرية المقررة في النص، مما أسس لتعامل مع المخالف كان متميزا في مضمونه وشكله لما تفرد به من سمات من أهمها:

1. التعامل مع الآخر من منطلق قيمتي: الإحسان والعدل انطلاقا من قول الله

تعالى (تَبَرُّوهُمْ وَنُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ)

2. التعامل مع الاختلاف من منطلق أنه سنة كونية وواقع متجذر، والسنن

الكونية لا تتبدل ولا تتغير، وتدبيره يكون بحكمة وتعقل.

3. رفض الإكراه لأن مدار الإيمان على الاختيار والتمكين، وليس على القهر والجبر، وهذا من جماليات الخطاب القرآني قال تعالى: لَأَكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ [البقرة: 256]
4. الانطلاق من المشترك العقدي والخلقي للتوصل إلى كلمة سواء بغية إرساء السلم المجتمعي (وقولوا آمنة بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)، وهذا يعني استثمار دوائر: المشترك العقدي والمشارك الخلقي والمشارك المصلي.
5. اعتماد الدليل البرهاني المرتكز على العقل والمنطق مرجعا وحجة.

الكلمات المفتاحية:

الملاحج الجمالية؛ الخطاب القرآني؛ الأخر؛ عدم الإكراه

1. مقدمة:

بما أن تلمس مكامن الجمال والبحث عنها في مظانها صفة جبلية فطر الله عليها الإنسان، حيث عرف قديما وحديثا بشغفه بالجمال وتولبه به وبحثه المستميت عنه، والجمال الذي يدلله القلب ويصمي العقل ينقسم إلى جمال حسي له أهله ومتذوقوه، وجمال معنوي له أنصاره ومحبيه، ونُعنى هنا بالجمال المعنوي لعمق أثره وارتباطه بالعقل والقلب معا، ولما للذات العقلية من تأثير بالغ عرفه أصحاب النفوس الكبار فاعتكفوا في محراب العقل رهانا متبتلين وعشاقا مدلهين، فقدموا للبشرية ما أنتجتة عقولهم من فكر وحكم وتجارب وخبرات، كان لها الأثر الكبير والنفع المتعدي في حياة المجتمعات البشرية، ولأن حب الجمال كما هو جبلية إنسانية

راسخة؛ هو كذلك قيمة خلقية بارزة فالله جل جلاله {جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ}1(وأحسن كل شيء خلقه) وهو جل جلاله (أحسن الخالقين) ومن كرمه أن خلق الإنسان في "أحسن تقويم"، وجعل له السمع والابصار والافتدة، وفطره على حب الخير والعدل والجمال، ومن أهم مكامن الجمال ومنابع اللذة العقلية والوجدانية ما يزرع به النص القرآني من ملامح جمالية أخاذة، ومظاهر أسرة للتدبر والاعتبار؛ تمثل فضاء فسيحا للمتعة والإفادة، وهي متعة تجد ما يعمقها في بينية النص وفي تركيبه ونظمه وسياقه، بالإضافة إلى ما يعج به من دلالات ومضامين رائعة، ومن هذه الملامح ما يتجلى في بنية النص وسياقه العام، ومنها ما يتجلى من خلال خطاب القرآن للآخر، وتمثل الملامح الجمالية في خطاب القرآن للآخر موضوعا بالغ الأهمية في وقتنا الراهن حيث تتعالى دعوات صدام الحضارات، وتتعاظم حالات التحيز الديني والثقافي، وما ينجر عن المركزية الثقافية الغربية من ازدياد للآخر وإقصاء له، مع تعاظم موجات الإسلاموفوبيا. وفي تناولنا للملامح الجمالية في الخطاب القرآني للآخر حري بنا أن نتساءل: أين هي الملامح الجمالية في الخطاب القرآني عموما وخطاب القرآن للآخر خصوصا؟ وما هي أهم سمات ذلك الخطاب؟ ونتغيا في هذا البحث الكشف عن بعض تلك الملامح الجمالية التي يحفل بها الخطاب القرآني للآخر، وأثرها في ترسيخ القيم الإنسانية التي تؤسس لها رسالتنا السمحة، وسيكون النص القرآني منطلقنا في تناول محاور ومفردات الموضوع، وفي مستهل هذا البحث سنحدد ما ذا تعني: "الملامح الجمالية" "الخطاب القرآني" "الآخر" "البر" "عدم الإكراه". وإذا كانت الملامح بالمعنى المادي تعني علامات الوجه وأوصافه، فإن

"الملاحج الجمالية" هنا بدلالاتها السياقية تعني تلك الومضات والإشراقات ذات البعد الجمالي في النص القرآني، لما تتضمن من قيم ومثل عليا من جهة، ولما تتميز به من إعجاز بياني أسر بهر العقول، وأخذ بتلابيب القلوب. وقد حظي الجانب الجمالي في النص القرآني باهتمام بالغ من لدن العلماء المسلمين في صدر الإسلام. فقد ألف فيه الخطابي والباقلاني في القرن الرابع. ووردت كلمة الجمال في القرآن الكريم بدلالات مادية ومعنوية، أما "الخطاب القرآني" فنعني به ذلك الخطاب الموجه للبشرية جمعاء بما يتضمن من عقائد وقيم وتشريعات، وهو خطاب للعقل لما يتضمن من أساليب الإقناع المتناسكة منطقيا، وخطاب للقلب بما يتضمن ترغيب في الفضيلة وتنفير من الرذيلة. أما "الأخر" فإنها في المعجم الإسلامي تعني غير المسلم، إلا أنها لا تتضمن تلك الحمولة السلبية التي يعنها مصطلح الأخر في اليهودية والنصرانية، إذ أن التمايز العقدي في الثقافة الإسلامية لا ينافي التكريم. فقد بينت الآية أن مناطه بنوتنا لأدم صلى الله عليه وسلم (ولقد كرمتنا بني آدم)2، ولا يتعلق بعرق ولا دين. أما البر بالكسر فهو: فعل الخير والأعمال المرضية التي تزكو بها النفس3 وهو اسم جامع لأنواع الخير.

و"الإكراه" عرفه البيضاوي بأنه: إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه4 وهو مناف للشر لقول الله تعالى " لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " ولئن كان موضوع البحث من المواضيع المطروقه إلا أن تناوله في السياق الثقافي الراهن يظل مطلباً ملحاً، انطلاقاً مما يفرزه الواقع الثقافي بتحدياته المتجددة، وسأحاول دراسة الجانب الجمالي في الخطاب القرآني لالأخر بأسلوب تأصيلي يستحضر النصوص المؤسسة، وتمثلاتها في الواقع. وذلك ما يستدعي الحديث عن:

- الملامح الجمالية في لخطاب القرآني
- الملامح الجمالية في لخطاب القرآني للآخر.

2. الملامح الجمالية في الخطاب القرآن

- قبل تناول الملامح الجمالية التي هي مظهر من مظاهر الإعجاز، هنالك عدة تساؤلات جوهرية من أهمها:
- أين يتجلى البعد الجمالي في النص القرآني؟
- وهل يرتبط بالأساليب والسياقات؟ أم يرتبط بالمضامين والدلالات؟
- وحري بنا أن نشير إلى ما يتضمنه النص القرآني من قبسات دالة، تشي بما للبعد الجمالي من حضور في النص القرآني، ونستطيع تلمس ذلك الحضور من خلال ما يمكن تسميته بـ "قاموس المفردات الجمالية" حيث نجد القرآن يتحدث عن "الزينة" "خذوا زينتكم عند كل مسجد" "قل من حرم زينة الله" "حَدَائِقُ ذَاتَ بَهْجَةٍ"، وحسن المآب "والله عنده حسن المآب5" وعن القبول الحسن والنبات الحسن ("فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبثها نباتا حسنا.6" وحسن الثواب "والله عنده حسن الثواب7". ولا يمكن استقصاء تجليات الجمال في النص لتعدددها وتنوعها، فمظاهر الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة وعديدة، وقد أسرت المنصفين على مر التاريخ فنوهوا بعبقرية وتميز النص القرآني المعصوم، كما حاز موضوع الإعجاز القرآني قدرا كبيرا

من اهتمام العلماء والدارسين الأقدمين فصنفوا كتباً كانت متميزة في قيمتها العلمية، وحازت ثقة واهتمام الدارسين، وعلى مهيع ألك الأقدمين سار كثيرون، وسيبقى الطريق لأحبا8 لما في القرآن من عجائب لا تنقضي وفوائد لا تنتهي، إذ القرآن الكريم لا يضاويه أي نص في فصاحته وجزالته، وعدوبة عباراته، ناهيك عما يتميز به من جودة في السبك واتساق في النظم9، وهذه المقومات الثلاث وهي: الفصاحة والجزالة والعدوبة ما يتميز به القرآن منها لم يرتق إليه غيره بشهادة المنصفين والعارفين، ويلمح الزركشي إلى أن القرآن لما كان معجزاً بفصاحة ألفاظه، ونظم تأليفه، كان معجزاً بمضامينه وما فيها من توحيد وتزيه، ودعوة للطاعة، وأخبار عن الأمم الغابرة، إضافة إلى ما نزل من مثلات10 بالعصاة والمعاندين11 فلا تقتصر مجالات الإعجاز القرآني على بلاغة اللفظ وسلاسته، ودقته في تقرير المعنى وفصاحته، بل كان لتغلغله وتأثيره في أعماق القلوب ودخائل النفوس ما لم يكن لغيره من الخطابات المؤثرة على مر التاريخ، وهذا ما تنبه له العلامة الزركشي حيث يرى أن في إعجاز القرآن وجهاً آخر لم يتنبه له إلا آحاد الناس وهو تأثيره في القلوب، ووقعه في النفوس، فلا يكاد هذا القول يقرع القلب حتى يشعر السامع باللذة والحلاوة من جهة، والروعة والمهابة والجلال من جهة أخرى، والنص القرآني يشير إلى هذا الملح، يقول الله تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}12 ويقول تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}13 وقد أسلم جبير بن مطعم لما سمع سورة الطور من رسول الله صلى

الله عليه وسلم، وحين سمع قول الله: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} قال: "خشيت أن يدركني العذاب" وفي لفظ "كاد قلبي يطير" فأسلم. وفي أثر آخر أن عمر لما سمع سورة طه أسلم 14 ويقول عبد الله بن مسعود في وصفه للقرآن إنه {لا يتفه ولا يتشان} 15 وقال: إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات 16 أتأنق فيهن، أي أتبع محاسنهن 17، وحينما نتبع الجانب الجمالي فإننا سنتوقف عند بعض الملامح البارزة والمظاهر الدالة، وقد ذكر الباقلاني في إعجاز القرآن أن أقسام البلاغة عشرة أقسام وكلها موجودة في النص القرآني وهي:

- الإيجاز وهو تقليل الكلام من غير تقصير مخل 18 وحيثما كان الإعجاز أنسب يكون الإيجاز تقصيرا، 19 ويحسن الإيجاز ما لم يؤدي إلى الإخلال باللفظ والمعنى، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمر كثيرة، وينقسم الإيجاز إلى قسمين:
- إيجاز حذف كقوله تعالى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) 20، والحذف في هذا السياق أبلغ من الذكر لأن النفس تتأمله بعمق وتذهب فيه كل مذهب 21، ويدرك العارف بدلالة اللفظ والسياق أن المقصود سكان القرية.
- إيجاز قصر كقوله تعالى "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" 22، والمعنى الذي تشير إليه الآية أن التشريع القاضي بالقصاص يؤدي إلى حفظ الأرواح والأعراض والأموال؛ لما في القصاص من ردع للفسدة وقمع للمتسلطين يؤدي حتما إلى حقن الدماء، وحفظ الأعراض، لأن القاتل إذا كان جازما أن القصاص

سيناله، سيتهيب قتل غيره، وهذا المعنى تعبر عنه العرب بمقولة "القتل أنفى للقتل"، ولكن المعنى بدلالاته المباشرة والإيحائية تضمنته آية "ولكم في القصاص حياة" بصورة أبلغ وأدل.

- وبين الإيجاز القرآني وغيره تفاوت كبير يتجلى من أربعة أوجه هي:

- أن فائدة البيان القرآني أكثر

- وأن عبارته أوجز

- وأنه أبعد من الكلفة

- وأحسن تأليفا بالحروف المتلازمة²³، ولا مجال للمقارنة بين كلام الخالق جل جلاله، وتقدسست أسماؤه، وبين كلام المخلوق. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

- التشبيه: وهو عند البلاغيين (عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة؛ لغرض يقصده المتكلم²⁴) ويعرفه القزويني بأنه: {الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى.²⁵} وعرف الباقلاني التشبيه بأنه: {العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل كقوله:

- {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ²⁶}

- {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَأَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ²⁷}

- وقوله وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة28
- الاستعارة وهي: (استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي)29 والاستعارة عبارة عن تشبيه خال من الأداة كقوله تعالى: "أو من كان ميتا فأحييناه30" فقد استعير الموت للضلال والكفر والإحياء للإيمان والهداية31
- التلاؤم وهو نقيض التنافر، ويعني تعديل الحروف في التأليف. وفي الطبقة العليا من التلاؤم يقع القرآن، والتلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ ووقع المعنى في القلب32 ولا يتأتى ذلك إلا بجودة السبك وحسن الصياغة.
- الفواصل وهي حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة33. وهي كلمات تتماثل أو تتقارب أو آخر حروفها، مع تقارب صيغ النطق.34 ومن أمثلتها قوله تعالى: (وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4)35 وقوله تعالى: (وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3)36
- التجانس: وهي بيان بأنواع من الكلام يجمعه أصل واحد وهو على وجهين:
- مزاجية كقوله تعالى: "فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ37 وقوله: وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهُ38

- مناسبة كقوله تعالى: ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوْبَهُمْ 39، وقوله: يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ 40
- التصريف: مشتق من الصرف وهو التغيير والتبديل ويعني التبين والتوضيح، وتصريف الآيات يكون بالمجالة، وقرع الحجة بالحجة كما يكون بالوعد والوعيد 41. ويرى الباقلاني أن التصريف يعني: أن تستخدم التصاريف في مختلف المعاني والدلالات 42، ويعرفه البيضاوي بأنه: (إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف، وهو نقل الشيء من حال إلى حال 43). ومن أمثلته قوله تعالى:
 - {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نَصَرِفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ } 44
 - {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَصَرِفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ } 45
- التضمن: عرفه ابن ال أثير بأنه تضمين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومنه كلي وجزئي، فالكلي يكون بذكر الآية والخبر بجملتهما، والجزئي: إدراج بعض الآية أو الحديث في كلام مكتمل المعنى 46 ويرى البعض أن التضمن أن تدرج كلامك غيرك في ثنايا كلامك لتأكيد المعنى وترتيب النظم، ومثاله قوله تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) 47
- المبالغة: أن تبلغ جهدك في الأمر، 48 وعرفها التفتراني بانها: أن يدعى لوصف أنه بلغ في الشدة أو السهولة مستوى مستحيلًا 49 وما ورد من صيغ المبالغة في النص في القرآني كانت له دلالاته العميقة، وألقه الجمالي الأسر، ولم

يخرج من حدود الإمكان، ومن أمثلتها قول الله تعالى: (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ السَّادِثَةِ وَأَنزَلَ مِنْهَا نَارًا لِيَلْجَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فَيُتَوَكَّلْنَ عَلَيْهِنَّ وَأُنزِلْنَ مِنْهَا السَّلْطَنَ الَّذِي يَخُنَّ أُولَئِكَ بِمَا عَصَوْا وَالَّذِينَ كَذَّبُوا عَنْ آيَاتِهِ يُكْفَرُونَ) (سورة البقرة: 248) وكقوله (لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) (سورة البقرة: 245)

- حسن البيان 52 والبيان أقسامه أربعة وهي: كلام وحال وإشارة وعلامة 53، ولكل هذه الأوجه البلاغية حضورها في النص القرآني، وتحاشيا للإطالة في موضوع لا يدخل في صميم البحث أترك الخوض في التفاصيل، ومن الملامح الجمالية في النص القرآني:

- أولا: الإعجاز البياني: ويتمثل في البنية التركيبية التي تميزت بها جمالية الألفاظ والتراكيب القرآنية، والبلاغية المتنوعة عبر تشكيلاتها المجازية والاستعارية والتشبيهية والكنائية والرمزية والإيحائية، وذلك أكبر ملامح إعجاز القرآن {فالعرب أمة فصاحة وبيان، ورجال بلاغة وبديع، تطربهم الكلمة الجميلة وتهزهم الخطبة العصماء، ويستهوهم الشعر، وقد وقفوا عند بلاغة القرآن مهورين، وقد سمع أعرابي قول الله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} 54 فما يتمالك أن يسطرد، ولما سئل عن سبب سجوده فقال، سجدت في هذا المقام، لفصاحة هذا الكلام 55.

- ثانيا: التكرار الحكيم الهادف وقد اعتبر علماء البلاغة وفرسان البيان أن التكرار في البيان القرآني يمثل مظهرا بارزا من مظاهره الجمالية، وقيمة بلاغية عالية، وسموا تعبيريا، وأسلوبيا فنيا راقيا، ومع جماليته فقد اعتبره البعض تنوعا في عرض الموضوعات والأفكار والحقائق لما يمثله من

إضافات لفظية ومعنوية تنأى عن صفة التكرار، مع أن التكرار في بعض السياقات يشي بأهمية الفكرة وحساسية الموضوع، وقد ألف محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى كتابا بعنوان أسرار التكرار في القرآن بين فيه أن الكثير مما يتوهمه البعض تكرارا ليس كذلك56، فكل كلمة تعاد تضيف للمعنى ألفا أو بعدا تعبديا أو وجدانيا أو جماليا .

- ثالثا : التوازن الدقيق بين ذكر الحرف وحذفه: غالبا ما يذكر الحرف في سياق ويحذف في آخر لتحقيق حكمة لفظية أو معنوية تؤدي المعنى المراد بما يحقق الإعجاز البياني الرفيع، ومثل لذلك باللام الواردة في المسبحات وهي المسماة لام التقوية أو لام التعدية لأنها تقوي وصول الفعل إلى المفعول به، ومع اختلاف البلاغيين في وظيفتها هل هي للتوكيد كما يقول الزمخشري أو للتعليل كما يقول السمين الحلبي أو للتبيين وزيادة ارتباط المعمول بعامله، فلا مانع من اجتماع المعاني الثلاثة فيها وهي{التوكيد والتبيين والتعليل}57

- رابعا: دقة حروف المعاني وعدم الزيادة فيها: ومن مظاهر البيان القرآني الجمالية دقته في تأدية المعاني المقصودة فكل لفظا يؤدي وظيفته في الصياغة الأسلوبية وفي تقرير المعنى بحيث لا ينوب عنه لفظ آخر، ولا يكون زائدا أو حشوا أو ملغى58، ومسألة الزيادة في القرآن أيضا أثارت جدلا بين العلماء والمفسرين بين من يثبتها ومن ينفيها معتبرا أن ما يعتبر زيادة، إما أن يكون لتقوية الكلام وتأكيده، أو تقريره، وذهب آخرون إلى أن ما يعتبر زوائد له وظيفة تحسينية في الصياغة التعبيرية، فالجملة بوجود تلك الزوائد

تكون أكثر بلاغة وأمن صياغة، وأجمل إيقاعاً، وأبهى تعبيراً⁵⁹، وقد خصص الدكتور فضل عباس لهذا الموضوع كتابه "لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن" 60

- خامساً: التشابه والاختلاف: من جماليات النص القرآني الاختيار الدقيق للألفاظ وجعلها في الوضع المناسب في السياق حتى تؤدي المعنى المطلوب بحيث لا يسد بعضها مسد بعض، فاختلاف ألفاظ هذه الآية عن تلك إنما يقتضيه المقام فحينما يستخدم السياق القرآني ألفاظاً من قبيل {الأنبياء / النبيين - انفجرت / انبجست - هامة / خاشعة - مكة / بكة - ساحر / سحار - خشية إملاق / من إملاق - أنى يكون لي غلام / أنى يكون لي ولد - قال كذلك الله يخلق ما يشاء / قال كذلك الله يفعل ما يشاء - عن مواضعه/ من بعد مواضعه}، فإن ذلك يضيف إلى الكلمة والسياق مزيداً من الألق والجمال، وقد لفتت هذه الظاهرة الجمالية المعجزة أنظار الكثيرين فدرسوها، واستخرجوا لطائف فريدة، ومن ضمن هؤلاء:

- الخطيب الإسكافي في كتابه "درة التنزيل وغرة التأويل"
- ابن الزبير الغرناطي في كتابه "ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه متشابه التنزيل" 61

- سادساً: التقديم والتأخير في البيان القرآني: تميز النص القرآني بجماليته الرائعة في رصف الكلمات وترتيبها بإحكام وانسجام، وما يحدث فيه من تقديم وتأخير مظهر من مظاهر إعجازه، ومكمن الروعة أن كل ما يحدث

من تقديم وتأخير لم يكن اعتباطيا بل انسجاما مع المناسبة والدلالة والمقصد والسياق، فهذا التقديم قد يكون بسبب الاختصاص، أو للتفضيل، أو للأهمية، وللأولية الزمانية، أو للترتيب، والدارسون للخصائص الأسلوبية في النص القرآني وجدوا في الباب نكتا بليغة وطرائف بديعة.

- سابعاً: الحذف، وما يقع من حذف لبعض الكلمات في سياق، وذكر في سياق آخر، لا يكون إلا متسقا مع ال معنى، ونورد مثالا من ذلك فقد وصف الله الزنا بأنه فاحشة وسبيل سيء، ووصف نكاح الرجل زوجة أبيه بأنه فاحشة وسبيل سيء ومقت، يقول ابن الغرطاني إن المقت هو الاستحراق، ومن تزوج بامرأة أبيه فقد وقع في رذيلة تستوجب المقت، لما أقدم علي ه من فجور يستنكف عنه ذووا الطباع السليمة، ويستخس فاعله أصحاب العقول.62 ولذلك زيد في آية النساء قوله "ومقتا 63

- ثامنا: تنوع صيغ المشتقات ذات الأصل اللغوي الواحد: وهو مظهر جمالي من مظاهر التنوع والإبداع البياني فحينما ترد عبارات من قبيل {أثيم / أثم - ظلوم / ظلام - بريء / براء} فإن كل كلمة جاءت في السياق المناسب الذي يجعل النص أكثر إبهارا وروعة.

- تاسعا: التصوير الفني في البيان القرآني يعرف سيد قطب التصوير بأنه تعبير بصورة متخيلة ومحسة عن المعاني الذهنية، والحالة النفسية، وعن الحوادث المحسوسة، والمشاهد المنظورة، وعن النماذج الإنسانية، والطبائع البشرية، ويرتقي التصوير الفني بالصور المرسومة، فتدب فيها

الحياة، وتتجدد فيها الحركة، فإذا المعاني الذهنية هيئة أوحركة، والحالة النفسية لوحة معبرة، ومشهد دال، والنموذج الإنساني حي منظور، والطبيعة البشرية مجسدة منظورة 64 ومن سمات هذا التصوير العمق في الدلالة، والبلاغة في الإيحاء، والوقع المؤثر في العقول والقلوب.

- عاشرًا: التأثير البالغ الأخاذ للقرآن، فقد أخبرنا القرآن أنه لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله، وأخبرنا أن الجن حينما سمعوه وصفوه "يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ" 65 وبأنه "يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ" 66 وذلك التأثير والانهمار بالقرآن خصوصية يكرم الله بها من اصطفى من عباده، وهنالك من حرموا من تلك النعمة، ولم ينالوا ذلك الاضطفاء، فجعل الله على قلوبهم أكنة، وجعل في آذانهم وقرا حتى لا يسمعوا، فولوا على أدبارهم نفورا، بل قالوا "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه" 67 فحرموا من الهداية والإفادة والإمتاع، وقد حدثتنا كتب التاريخ والسير عن قصص تكشف مدى تأثير هذا القرآن في القلوب والنفوس ومن ضمن تلك النماذج الدالة:

- ما روى عن الزهري أن أبا سفيان وأبا جهل والأخنس بن شريق خرجوا ليلة للاستماع إلى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقوم الليل في بيته، ولا أحد منهم يعلم بمكان صاحبه، إذ لم يكن الأمر متفقاً عليه بينهم، فجلس كل واحد منهم في مكان يتمكن فيه من سماع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وواصلوا الاستماع حتى مطلع الفجر فتفرقوا، لكن جمعهم الطريق فتلاحوا، وتواصلوا على عدم تكرار ذلك لئلا يقع في نفوس سفهائهم

شيء، لكنهم عادوا ل ذلك في الليلة الموالية، فتلاحوا فيما بينهم كما تلاحوا في الليلة السابقة، وتكرر ذلك في الليلة الثالثة، فتعاهدوا وتعاهدوا ألا يعود أحد منهم لفعل ذلك، وفي الصباح سأل الأحنس ابن شريق أباسفيان عن رأيه فيما سمع، فقال إنه سمع أشياء يعرفها، ويعرف ما يراد بها، وسمع أشياء لا يعرفها، ولا يعرف ما يرادها، ثم سأل أبا جهل، فاعتبر الأمر تنافسا بين بني مخزوم وبني عبد مناف مؤكدا معارضته للإيمان، وتكشف الحادثة عن تأثر بالغ بالقرآن الكريم، جعل أئمة الكفرون يستمعون إليه الساعات الطوال68.

- اجتمع نفر من قريش مع الوليد ابن المغيرة ليتفقوا على رأي فيما يقولونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لوفود العرب القادمة إبان الموسم، وقرروا وصفه بأنه كاهن، فرد عليهم الوليد بأن ما لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشبه زمزمة الكهان، فقالوا مجنون، فرد عليهم الوليد بأنه ليس مجنوناً فلا وجود لوسوسة وتخالج المجانين فيه، فقالوا شاعر، فقال لهم الوليد إن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشبه الشعر متحججا بأنه يعرف رجز الشعر وهزجه، وقريضه ومبسوطه، فقالوا نقول ساحر، فقال لهم لم نر نفث وعقد الساحر عنده، فقالوا له كما تقول يا أبا عبد شمس، فوصف قول الرسول صلى الله عليه وسلم بأن له حلاوة، تستلذها الطباع، وأن عليه طلاوة تغري به، وأن أصله مغدق وفرعه مثمر، وبين لهم أن أقرب وصف يمكن وصفه به أنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، فقرروا تبني رأيه69 وتكشف الرواية ما يتميز

به الخطاب القرآني من وقع في النفوس وتأثير بالغ فيها ولا عجب فهو "بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه"70 وقد تضمن أحوال الأمم السابقة، وما تنطوي عليه سنن الأولين من عظات وعبر، تسترشد بها القلوب المتيقظة، وتهتدي بها العقول السليمة إلى سواء السبيل، وقد فصلت آياته تفصيلا بهر العقول والقلوب، فانقادت له مدعنة النفوس التي عصمها الله من ران التقليد وهوى النفس الأمارة بالسوء، وهذا القرآن مأدبة الله التي تحيا بها القلوب الغلف، فتشرق معرفة وإيماناً ويقينا يلامس برده الشغاف فتطمئن وتسعد، فمن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم71.

- المظاهر الجمالية في الخطاب القرآني للآخر.
- يستدعي الحديث عن المظاهر الجمالية في خطاب القرآن للآخر طرح عدة تساؤلات من أهمها:
- هل هناك بعد جمالي في خطاب الآخر؟
- وهل للدعوة إلى الإسلام طابع جبلي ينافي الذوق الجمالي؟
- وأين بتجلى ذلك البعد من خلال النص المقدس؟
- وما مدى تأثيره في ممارسة وسلوك المجتمع المسلم؟
- تتعدد الملامح الجمالية في خطاب القرآن للآخر وتتنوع، ولا يماري في وجودها إلا مكابر، وما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن

الخطاب لما أغصبه استفزاز وتناول الحبر اليهودي زيد ابن سعنة على رسول الله صل الله عليه وسلم (يَا عَمْرُ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا؛ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ)72 ولعمق البعد الجمالي وما يتسم به تمكين ورفض للإكراه في الخطاب الإسلامي تتلاشى مقولة الطابع الجبري، وذلك البعد ترسخه النصوص الشرعية، وي تجلى في السلوك العملي للمسلمين. وحين نتكلم عن الآخر فإننا بحاجة إلى تحديد الأنا حتى يتبين الآخر، فبضدها تتبين الأشياء، والأنا المراد هنا هو من يؤمن بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويصدق أنه من عند الله بدلالة أنه {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}73، ويتبع ما جاء به أمرا ونهيا يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، وبهذا التعريف يتميز الآخر، وهو الذي لا يؤمن بهذا القرآن، ولا يصدق أنه من عند الله، ولا يمثل ما ورد فيه من أمر ونهي ولا ينتفع بما فيه من درر الحق وروائع الحكم، هذا هو الآخر المراد هنا في هذا السياق، وقد مثل الآخر في الثقافات المختلفة للشعوب مبعثا للخوف والتوجس والريبة، فقد تكون النظرة إليه نظرة ازدراء واحتقار، تتعدد أسبابها ودواعيها، وقد كان مفهوم الآخر عند الإغريق القدامى يطلق على غير اليوناني، بينما يطلق عند اليهود على غير اليهودي، وفي الحالتين كان المفهوم مشحونا بدلالته السلبية، ويستبطن حالة من التحيز وعدم القبول تشي بالرفض والازدراء، وكان الآخر في المصطلح المسيحي يطلق على المسلم وكان مشحونا بدلالته السلبية، لظهوره إبان الحروب الصليبية، وبالتالي كانت دلالاته إقصائية بل عدائية،

لكن الآخر في ثقافتنا الإسلامية لا يستبطن ذلك التحيز، ولا تلك العدائية، لأن الرؤية الإسلامية تقوم على تكريم الإنسان، وقد أنيط ذلك التكريم ببنوته لأدم ولم يربط بدينه أو عرقه كما سلف، ورغم تعدد هذه الرؤى والتفسيرات، وما تنتجه من تحيز الإنسان ضد أخيه الإنسان، يبقى النص القرآني المحفوظ الاستثناء البارز في ذلك، فنظرته للإنسان تنطلق من حقيقة ما حباه الله به من عناية وتكريم، تختفي معه كلمة "الآخر" المفعمة بالتحيز داخل هذه الكينونة البشرية التي يعبر عنها القرآن "ببني آدم"، لأن الله تبارك وتعالى كرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وهو تفضيل يستحق الشكر لا الكفر، وفي الفقرات التالية نتناول بعض جماليات الخطاب القرآني للآخر، وحينما نتأمل النص الشرعي سنجد أن هذه الجماليات تتجلى في الخطاب القرآني الموجه للثقلين عموماً رغم ما استأثر به "أهل الكتاب" من نصوص تدعوهم للحق والإيمان وإلى كلمة سواء، حيث ورد لفظ أهل الكتاب عشرات المرات في القرآن، وسنركز على جماليات الخطاب القرآني لأن القرآن أهم مصادر المعرفة في الإسلام، والدعوة القرآنية تتميز بعالميتها حيث أنها موجهة إلى الثقلين وتستهدف أصناف البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وسنستعرض بعض النماذج من جماليات خطاب القرآن الكريم لـ"الآخر" ومن أهمها:

- أولاً: التعامل مع الآخر من منطلق ما حباه الله به من تكريم وتشريف قرره القرآن في محكم التنزيل فالله تعالى يقول: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا⁷⁴} والخطاب في الآية موجه للنوع البشري، إذ هم المشمولون بالأوصاف المذكورة، فمناط تكريمهم هو بنوتهم لأدم⁷⁵، ويتجسد هذا التكريم في تسخير جميع المخلوقات والعوالم لهم، والقرآن يخبرنا أن الله جلت قدرته سخر للإنسان ما في السماوات وما في الأرض. ويذكر الطبري من مظاهر التكريم أنه حملهم على ظهور المراكب الفارهة، وسخر لهم البحر تمخر عبابه سفنهم، وأكرمهم بأطياب المشارب والمطاعم⁷⁶، فالله جل جلاله جعل لهم كرمًا أي شرفًا وفضلًا⁷⁷ فكَرَّمَهُم بِالنُّطْقِ وَالتَّمْيِيزِ⁷⁸ ويعدد الزمخشري مظاهر الكريم ذاكرا منها:

- أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأجمل صورة، وأكرمه بنعمة العقل التي تعصم من غيابات الهوى ومضلات الفتن. وبها يدبر أمور معاشه ومعاده⁷⁹.

- أنه رزقهم من الطيبات {وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} من الثمرات، وأنزل الغيث فأنبت به الزرع وأدر به الضرع، وقد عدت الآيات صنوفا من تلك الطيبات: ماء ثجاجا وحبا ونباتا وجنات ألفافا، وزيتونا ونخلا وحدائق، غالبا وفاكهة وأبا. وغير ذلك من الأصناف والأشكال والألوان، مما يصنعون، ومما يجبي إليهم من خيرات الأرض.

- فضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا حيث خَلَقَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ⁸⁰، في أحسن تقويم، وفضلهم بالقهم والتَّمْيِيزِ⁸¹ وبمنح القدرة على التفريق بين الأشياء، ومعرفة المنافع والخواص والمضار في الأمور الدنيوية والدنيوية⁸²،

والقول الأصح أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي جعله الله مناط التكليف، إذ به نعقل عن الله، ونعقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 83، وَقَدْ تَضَمَّتِ الْآيَةُ خَمْسَ نَعَمٍ هِيَ: أَنَّهُ كَرَمَهُمْ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْمَرَكَبِ فِي الْبُرِّ، وَالْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ، وَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ 84. وهي كلها من جلى يسعد بها الإنسان، وينعم بما توفر من غُنْ يةٍ وَقُنْ يةٍ تفضل بها الله على عباده فهو الذي أغنى وأقنى، والتعامل مع الإنسان من منطلق التكريم يمثل مظهرا رائعا من مظاهر العدل والإنصاف، وأداة مثلى لتحقيق التفاهم، وهو كذلك من أبهى وأسى ملامح الخطاب القرآني الجمالية، لما فيه من اعتراف بالآخر واحترام له، واستعداد للتعامل الإيجابي معه على أسس تحترم الكرامة البشرية وتعلو من شأن القيم والمثل العليا. وأي خطاب أروع وأسى من ذلك الخطاب المفعم بالتكريم، والمصحوب بالنعمة والمنن الجلى.

- ثانيا: التعامل مع المخالف بالعدل والإنصاف لأن ذلك فريضة إسلامية راسخة، وحكم شرعي مكين، والعدل مرتكز خلقي بارز في الخطاب الإسلامي قال تعالى:

- {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} 85

- {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 86. فدوحة العدل في الإسلام وارفة الظلال

يعيش في مرحمتها المسلم وغيره بكرامة وعدل، وهي المرحمة التي جعلت عمر رضي الله عنه يقول لما مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد: ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك، ثم ضيعناك في كبرك، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه.87 وجعله يقول حين أوتي بمال كثير من الجزية مخاطبا الجباة: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: لا والله ما أخذنا إلا عفوا صفوا، قال: بلا سوط ولا نوط؟88 قالوا: نعم، قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي، ولا في سلطاني89. وبذلك يتجلى مدى تمثل المسلمين لقيمة العدل والعدل واجب لكل أحد على كل أحد في جميع الأحوال والظلم لا يباح شيء منه بحال حتى إن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يعدلوا مع الكفار في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}90. والمؤمنون كانوا يعادون الكفار بأمر الله فقال تعالى مبينا: لا يحملكم بغضكم للكفار على ظلمهم بل عاملوهم بالعدل فإنه أقرب للتقوى91. وصفحات التاريخ الإسلامي حافلة بومضات مشعة وإشراقات باهرة تكشف عن جوانب وضاعة من هذا الدين الذي جعل من الأعراب البداة الجفاة حملة حضارة ورواد نهضة وتقدم.

ثالثا: توفيرا للأخر وتكريمه والإحسان إليه، وهذا ما تدعو إليه الآيات القرآنية العديدة ومنها قوله تعالى: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ92،

وقد نزلت هذه الآية في قتيبة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا، فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول 93 فبينت الآية أن معاملتها تتم بالعدل والبر، وأي مظهر جمالي أبهى من ذلك. يقول الطبري {لَا يَمُهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} من أهل مكة (وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) يقول: وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبركم بهم 94} ورغم اختلاف المفسرين في المراد بالآية هل هم الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا، أو عُني بها من مشركي مكة من لم يقاتل المؤمنين، إلا أن الطبري يرى أن القول الراجح في الآية أنها تعم كل أصحاب الملل والأديان معتبرا أن دعاوى نسخها لا معنى لها لأن بر المسلم بقرباته غير المسلمين وأهل الحرب ليس محرما ولا منهيًا عنه، ما لم يكن في ذلك إضرار بالمسلمين، بدلالة أهل الحرب على عورة المسلمين، أو مدهم بما يساعد في الحرب ضد المسلمين 95، والقول المعتمد الذي انتقاه الطبري يوضح جانباً من جماليات الخطاب القرآني هو احترام الآخر واحترام كرامته البشرية، وإكرام المخالف والإحسان إليه والبر به، وكل ذلك مطلوب شرعاً، والخطاب القرآني خطاب رباني يحترم الإنسان من حيث هو إنسان، ويرتقي به إلى صفات: التكريم – والعدل - والإحسان. أم من حارب المسلمين، وأظهر على إخراجهم من ديارهم فمقتضى العدل والحكمة أن يعامل بما يدرأ شره.

- رابعاً: احترام حقيقة أن الاختلاف سنة كونية وواقع متجذر، والسنن الكونية لا تتبدل ولا تتغير، إلا أن تدبير الاختلاف بحكمة وتعقل يظل مطلباً

ملحا وحاجة وضرورة، يقول الله تعالى: (ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)96، فإرادة الله اقتضت أن لا يكون الناس أمة واحدة، وألا يزالوا مختلفين إلا من رحم الله وقليل ما هم، قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ}، واختلف العلماء في ضمير "هم" الوارد في قوله تعالى (وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ) هل يعود إلى الاختلاف أو إلى الناس، أو للموصول (من) في قوله (إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) ويرجح طاووس عود الضمير على الرحمة حيث يقول (لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة)97 (وقال قوم للاختلاف).98 ويقول البيضاوي إن الضمير إن كان عائدا إلى الناس (فالإشارة إلى الاختلاف، واللام للعاقبة أو إليه وإلى الرحمة. وإن كان لمن فإلى الرحمة.99) والحكم التكليفي مؤداه أن الانسان يبقي مطالبا بدفع قدر الاختلاف الكوني بقدر كوني آخر هو قدر "الاختلاف" من قبيل الفرار "من قدر الله إلى قدر الله100"، وهو مجال تتجلى من خلاله عبقرية الإنسان المسلم، فتدبير الخلاف لصالح المجتمع البشري والأمة عمل خلاق، وتحقيق لمقاصد الشرع الكلية التي تعتبر أساسا للعمران وركنا ركينا للدين، ووثيقة المدينة تؤسس لتدبير الخلاف حتى يتحول من خلاف تضاد وصراع إلى اختلاف تنوع، فقد وضعت الأسس وحددت الضوابط للتعامل بل للتعاون بين سكان المدينة على تبايناتهم العرقية، والتاريخية، والدينية، مما جعل الأوس والخزرج يتعايشون في ألفة ومحبة، ويتغلبون على آثار الحروب الدامية والتراث التاريخية، وجعل المهاجرين القادمين إلى المدينة يتحولون

من غرباء وافدين إلى أشقاء وأعضاء فاعلين في المجتمع، بتأثير رابطة الدين التي تعلوا على رابطة الدم والمكان، ومكنت اليهود رغم التباين الديني من العيش في فضاء من التسامح والعدل، وكل ذلك باحترام حقيقة الاختلاف الثابتة كونيا، والمعيشة واقعيًا، وقد حددت النصوص الشرعية أسس التعامل معها عمليًا.

- خامسًا: رفض الإكراه لأن مدار الإيمان على الاختيار والتمكين، وليس على القهر والجبر، وهذا من جماليات الخطاب القرآني وهو مقرر في محكم التنزيل قال تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" 101 ويرى الطبري أن هذه الآية نزلت في قوم من الأنصار- أو في رجل منهم - كان له أولاد قد تهودوا أو تنصروا، فلما جاء الله بهذا الدين أرادوا إكراه أبناءهم عليه، فنهاهم الله عن ذلك، حتى يكون دخولهم الإسلام عن قناعة واختيار. 102 ويقول الزمخشري عند قوله تعالى {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} أي لم يجز الله أمر الإيمان على الإيجاب والقسر، ولكن على التمكين والاختيار. ونحوه قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} 103 { أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل، وبنى الأمر على الاختيار {قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة ومن آمن بالله {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى} من الحبل الوثيق المحكم، المأمون انفصامها، أي انقطاعها. وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوره السامع

كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده واليقن به. وروي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا فاختموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصاري: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فنزلت: فخلاهما 104 وتلمح آية: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ 105 إلى حقيقة السنن الكونية التي لا تتبدل ولا تتغير، ولا مجال معها إلى إكراه الناس حتى يكونوا مؤمنين، يقول البيضاوي عند قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً} هو دليل على القدرية في أنه تعالى لم يشأ إيمانهم أجمعين، وأن من شاء إيمانه يؤمن لا محالة، والتقيد بمشيئة الإلجاء خلاف الظاهر {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ} بما لم يشأ منهم. {حتى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء وإبلاؤها حرف الاستفهام للإنكار، وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل، فلا يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض إذ روي أنه كان حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت 106، وجدير بنا في هذا المقام أن نفرق بين الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية، والله تبارك وتعالى كلف الرسول بالتبليغ ولم يجعله حفيظاً ولا وكيلاً، وتؤكد الآيات القرآنية هذا المعنى ومن الآيات التي تبين ذلك قوله تعالى:

- مَّن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً 107

- وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ 108
 - فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ 109
 - وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
- [الشورى: 6]

- وتكرر الآيات وتتوارد في هذا السياق محددة مهمة الرسل في البيان "لتبيننه" والبلاغ "إن عليك إلا البلاغ"، مما يعنى فسخ المجال أمام الإرادة البشرية للاختيار الحر بعيدا عن منطق العنف والإكراه فالمدار في الشرع الإسلامي على التمكين والاختيار، ومنح الآخر المخالف حرية في قناعاته وممارساته الدينية، وقد رسخ النص الشرعي هذه القاعدة، وكان حزن النبي صلى الله عليه وسلم شديدا على هلاك المكذبين، وقد وصف القرآن ذلك الشعور الجمالي النابع من الرحمة والرفقة التي جبل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاطبه القرآن بما يشي بذلك في آيات منها:

- ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ 110 أي لا تغتم لكفرهم.
- ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ 111 باخع نفسك معناها مهلكها حزنا وأسفا وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

- سادسا: الانطلاق من المشترك العقدي والخلقي للتوصل إلى كلمة سواء بغية إرساء السلم المجتمعي وهذا من جماليات الخطاب القرآني فالله جل جلاله يقول:

- قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ¹¹² إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ¹¹³ ففي الآية إشارة للجوامع المشتركة المتمثلة في الإيمان بالله واحد، وبالكتب المقدسة، ويؤمن المسلمون بالتوراة التي نزلت على موسى، وبالإنجيل الذي نزل على الله عيسى، وبالكتب السماوية كلها، والنبئين كلهم، ويؤمن المسلمون أن الكتب المنزلة كلها حق وهدى ونور، وأن جميع رسل الله كانوا على هدى من ربهم وعلى صراط مستقيم، على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله، والعمل بطاعته¹¹⁴، وفي الحقيقة فإن عقيدة التوحيد هي رسالة الله الخالدة، فجميع الرسل جاءوا لتقرير تلك الرسالة وترسيخ تلك الحقيقة. ومن الآيات المؤسسة لمبدأ الانطلاق من المشترك قوله تعالى:

- وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ¹¹⁵ والمجادلة: مفاعلة من الجدل، وهو إقامة الدليل على رأي اختلف فيه صاحبه مع غيره... وأمر القرآن بالحسنى في مجادلة أهل الكتاب لأنهم مؤمنون بالله ... ومتأهلون لقبول الحجة ... ولأن آداب دينهم وكتابتهم أكسبتهم معرفة طريق المجادلة فينبغي الاقتصار في مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ حذرا من تنفيرهم¹¹⁶، وتمثل التي هي أحسن أحد المظاهر الجمالية في خطاب القرآن للأخر، وقد أمرنا الله بالتي هي أحسن في القول، فقال جل من قائل: {وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}¹¹⁷، وأمرنا

بالتي هي أحسن في الدفع فقال: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} 118 {وَأَمْرًا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فِي الْجِدَالِ فَقَالَ تَعَالَى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} 119

- سابعاً: اعتماد الدليل البرهاني المتأسس على العقل والمنطق مرجعاً وحجة: لطفاً من الله وكرماً جعل هناك تطابقاً تاماً بين الحقيقة الشرعية والحقيقة العقلية، ودرأ كل تعارض بينهما، فلو كانت الحقيقة الشرعية غير مستساغة عقلياً وكلف الناس بالإيمان بها لكان في ذلك عنت كبير، والخطاب القرآني من جمالياته الرائعة واحتفائه بالعقل أنه يقدم البرهان، ويطلب البرهان قال تعالى:

- وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 120

- أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ 121

- أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 122

- وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ 123. فالأدلة العقلية الصحيحة البينة التي لا ريب فيها، بل العلوم الفطرية الضرورية، توافق ما أخبرت به الرسل، وجميعها

موافقة للسمع، لا تخالف شيئاً منه 124، ويجد المؤمنون في بعض الديانات إشكالات مزمنة في الموازنة بين ما يقرره العقل بالبداية، وما يخبر به الدين، وقد عرض ذلك كثيراً من أصحاب العقول المتبصرة إلى محن وابتلاءات كثيرة. ومن مظاهر تركيز الخطاب الإسلامي على الدليل والبرهان اعتبار الإسناد من الدين حتى لا يقول من شاء ما شاء، قال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء 125، وقد بين مسلم في صحيحه أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة 126، وكل ذلك من التحري في العلم واحترام مقتضى الدليل والبرهان، والخطاب القرآني كذلك يعلي من شأن العقل ويدعو إلى التفكير والتدبر والتذكر والاعتبار، ويدعو إلى سماع الحق لأن الاستجابة منوطة بالسمع كما يبينه مقتضى الآية الكريمة {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ} 127.

- ثامناً: ومن جماليات الخطاب القرآني ترسيخ وتمكين قيمة التواضع وعدم تزكية النفس، لما في ذلك من التناول على الغير، وربما كان فيه تشبع شخص بما لم يعط من علم وعمل وإخلاص، والله جل جلاله يقول {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} 128 {وَعَابَ مَنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَالَ فِيهِمْ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} 129

- تاسعا: ألا يتكلم المخاطب إلا بعلم انطلاقا من قوله تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"130
- عاشرا: حضور الخطاب الترغيبي بقوة سبيلا إلى استنزال طائر الخصم المعاند، وهو جانب جمالي نلمسه في نصوص كثيرة تتحدث عن الزلفى والبشرى، والفوز العظيم، وحسن المآب، يقول الله تعالى:
- {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ 131}
- وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ 132}
- {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا 133}
- {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا 134}
- وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى 135}
- {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَدَّ 136}
- الحادي عشر: زرع الأمل ومحاربة اليأس والقنوط: من المظاهر الجمالية بعث الأمل ومحاربة اليأس والقنوط، بحيث يظل غير المسلم المتطلع إلى الخلاص يلحظ ذلك الأمل والمثابة التي يفسحها الخطاب القرآني أمام الآئيين، فالله جل جلاله يقول: 137

- {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}138

- {يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُؤْا مِن رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يِيَّأْسُ مِن رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}139، ولن نتمكن من استقصاء الأبعاد الجمالية في النص القرآني لما تتسم به من ثراء ووفرة وتنوع، وسيظل هذا القرآن بما يتسم به من عظمة وكمال وتفرد؛ أعظم مستودع ومرجع للقيم والأخلاق.

4. خاتمة:

ظل القرآن الكريم البحر الزاخر والمعين الثر الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد، وظل وسيظل المصدر والمنبع لكل معرفة صحيحة لما يتسم به من مرجعية ربانية تمنحه المطلقية والتعالى، وسيظل السبيل الوحيد لسعادة هذا الإنسان مهما تعددت توجهاته واختلفت رؤاه لما يحق من فضاء جامع تحكمه قيم التعايش واحترام الأخر. ويظل البحث في جماليات الخطاب القرآني اللفظية والمعنوية والتشريعية مجالا رحبا للباحثين يجدون فيه ما لذ وطاب مما يمتع ويفيد علما وأدبا وحكما وأمثالا وتاريخا، مع ميزته الكبرى التي يتميز بها وهي أنه كتاب هداية وتشريع، والبحث في جماليات الخطاب القرآني مجال رحب وفضاء فسيح لاستكشاف مجالات متعددة مما يتميز به من بهاء وروعة وأخذ بمجامع العقول والقلوب، وتنويرها بالحق الأبلج والنور الناصع، وفي ختام هذه الورقة التي تناولت فيها بعض جماليات النص القرآني، وجماليات خطابه للأخر وما يطبعه من عدل ومرحمة وتكريم، أود تقديم بعض الملاحظات والتوصيات:

- 1. التركيز على الدراسات القرآنية في الأنشطة العلمية والأكاديمية لربط الناشئة والأجيال بالنص القرآني، باعتباره الأصل الأول للتشريع، والمصدر الأساسي للمعرفة، والرجوع إليه والتمسك به منجاة للأمة، ومراقبة للصعود في مضمار التقدم والرفق، ورغم ما حظي به دراسة واهتمام تظل فيه جوانب تتيح للدارس من ينابيع الحكمة ما تستنير به العقول.
- إدراج "جماليات النص القرآني" ضمن المقررات الدراسية المعتمدة في الجامعات ووحدات البحث العلمي، حتى يلم الباحثون وطلبة العلم بجانب ممتع ومفيد من مجالات الدرس القرآني.
- العمل على إنشاء موسوعة علمية تتناول مختلف المحاور المطروقة في القرآن، بما فيها القصص والأمثال والحكم، والإعجاز مع التركيز على البعد الجمالي اللفظي والمعنوي، مع الابتعاد عن الشطط في تحميل النص الشرعي ما لا يندرج ضمن دلالاته ومقصده ولا ينسجم مع سياقه، والتحري في الربط بين الاكتشافات العلمية والنصوص القرآنية، فالنص القرآني خطاب أزلي رباني خالد، والاكتشافات العلمية نتاج عقل بشري تتسم بالنسبية، وتحكمها سنن التطور والتغيير.
- التركيز على ترسيخ القيمة المرجعية للقرآن الكريم في العقول والقلوب باعتباره أداة نهضة، وسلم تقدم، ووسيلة لاستعادة الأمة مكانتها في قيادة وريادة المجتمع الإنساني من خلال الإسهام الفاعل، والمشاركة البناءة في تشييد صرح العمران البشري، والحضارة الإنسانية.

- العمل على تخليص علم التفسير من الإسرائيليات وما أدرجه القصاصون، من خلال برنامج علمي يتناول مختلف المحاور القرآنية دراسة وبحثا وتنقيحا وتمحيصا، واستغلال النشر الرقمي لتقريب هذه البحوث من الباحثين والدارسين، وللاستفادة مما توفره من سهولة في البحث ومرونة في الاستغلال.

5. قائمة المراجع:

1. الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثالثة 1404هـ 1984 م مكتبة دار التراث القاهرة
2. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني دلائل الإعجاز تعليق محمود محمد شاكر الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة
3. أبو حيان التوحيدى، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو 400هـ) البصائر والذخائر المحقق: د/ وداد القاضي، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م
4. أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي الأمالي في لغة العرب دار الكتب العلمية 1398هـ 1978م بيروت
5. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني إعجاز القرآن الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر
6. محمد الهاشمي جواهر البلاغة مؤسسة هنداوي 2019. المملكة المتحدة.
7. جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني الإيضاح في علوم البلاغة الناشر: دار إحياء العلوم - بيروت الطبعة الرابعة، 1998.

8. الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي سنة الوفاة 911هـ إتمام الدراية لقراء النقاية. تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز الناشر: دار الكتب العلمية 1405هـ 1985م
9. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) التحرير والتنوير الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م.
10. أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلبي المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، 1995 تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
11. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري لسان العرب الناشر: دار صادر - بيروت
12. سعد الدين التفتازاني مختصر المعاني الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى 1411هـ
13. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج 1 (69 / 70) لجنة إحياء التراث الإسلامي ط الثالثة، القاهرة 1996م
14. محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى أسرار التكرار في القرآن الناشر: دار الاعتصام - القاهرة الطبعة الثانية، 1396 تحقيق: عبد القادر احمد عطا
15. الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي البيان في إعجاز القرآن، الطبعة الأولى 1421هـ 2000م دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن

16. الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه للفظ من آي التنزيل دار الكتب العلمية. بيروت
17. سيد قطب التصوير الفني في القرآن الطبعة السابعة عشرة 1425هـ 2004 م دار الشروق القاهرة مصر
18. عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة 581 الروض الأنف في شرح غريب السير الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، 1421 هـ/ 2000 م
19. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت 458هـ) شعب الإيمان الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
20. أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي سنن الترمذي المحقق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي. بيروت 1998 م.
21. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ) التحرير والتنوير. الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م
22. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ت شاکر تحقيق: أحمد محمد شاکر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م
23. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ) الجامع لأحكام القرآن تحقيق: سمير البخاري الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: 1423 هـ/ 2003 م

24. العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت سنة الطبع: 1407 هـ
25. علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى: 975هـ) كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال المحقق: بكري حياني - صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م
26. تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، أبو العباس مجموع الفتاوى المحقق: أنور الباز - عامر الجزار الناشر: دار الوفاء الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005 م
27. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700-774 هـ] تفسير ابن كثير المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ 1999 م.
28. ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تفسير البيضاوي دار النشر: دار الفكر - بيروت
29. تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1417 هـ - 1997 م. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن صحيح مسلم - (ج 1 / ص 15)

30. محمد عبد الرؤوف المناوي التوقيف على مهمات التعاريف تحقيق: د. محمد رضوان الداية الناشر: دار الفكر المعاصر دار الفكر بيروت، دمشق الطبعة الأولى، 1410

7. الهوامش: (*)

1 من ضمن حديث أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 65) الإيمان، باب تَحْرِيمِ الْكِبَرِ وَبَيَانِهِ ونص الحديث عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس».

2 الإسراء 70

3 محمد عبد الرؤوف المناوي التوقيف على مهمات التعاريف تحقيق: د. محمد رضوان الداية الناشر: دار الفكر المعاصر دار الفكر - بيروت دمشق الطبعة الأولى، 1410. (1/ 122)

4 ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تفسير البيضاوي دار النشر: دار الفكر - بيروت (1/ 287)

5 (14) سورة البقرة

6 سورة آل عمران

7 (195) آل عمران

8 لاحبا معناها واضحا

9 الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثالثة 1404هـ 1984 م مكتبة دار التراث القاهرة. (2/ 103)

10 المثلاث هي العقوبات

11 البرهان في علوم القرآن (2/ 103)

12 الحشر 21

13 الزمر 23

14 البرهان في علوم القرآن (2/ 106)

- 15 لا يتشان معناها لا يخلق مأخوذة من الشن وهو الجلد الخلق البالي
16 دمئات جمع دمة وهي الأرض المخصبة اللينة السهلة
- 17 أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني دلائل الإعجاز تعليق محمود محمد شاكر الناشر
مكتبة الخانجي بالقاهرة. ص 388/389
- 18 أبو حيان التوحيدى، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو 400هـ) البصائر والذخائر - المحقق: د/وداد
القاضي، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م. (ج 1 / ص 145)
- 19 أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي الأمالي في لغة العرب دار الكتب العلمية 1398هـ 1978م بيروت.
(226/1)
- 20 يوسف: 82
- 21 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني إعجاز القرآن ، الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر تحقيق وتعليق صفحة
77/76
- 22 [البقرة: 179]
- 23 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني إعجاز القرآن صفحة 77/76
- 24 محمد الهاشي جواهر البلاغة. مؤسسة هنداوي 2019. المملكة المتحدة. ص 249
- 25 جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني الإيضاح في علوم البلاغة الناشر: دار إحياء
العلوم - بيروت الطبعة الرابعة، 1998. (ص: 203)
- 26 النور 39
- 27 إبراهيم 18
- 28 أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم إعجاز القرآن للباقلاني الناشر: دار المعارف -
القاهرة تحقيق: السيد أحمد صقر (263 / 264)
- 29 محمد الهاشي جواهر البلاغة مؤسسة هنداوي 2019. المملكة المتحدة. ص 306
- 30 الأنعام 122
- 31 الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي سنة الوفاة 911هـ إتمام الدراية لقرء النقاية تحقيق: الشيخ إبراهيم
العجوز الناشر: دار الكتب العلمية 1405هـ 1985م (ص: 35)
- 32 إعجاز القرآن للباقلاني - (1 / 270)
- 33 إعجاز القرآن للباقلاني - (169 / 270)
- 34 (التحرير والتنوير - (1 / 74)
- 35 سورة الطور
- 36 سورة الفجر

- 37 [البقرة: 194]،
 38 آل عمران: 54
 39 [التوبة: 127]
 40 [النور: 37] 40
 41 التحرير والتنوير - (26 / 46)
 42 إعجاز القرآن للباقلاني - (1 / 272)
 43 تفسير البيضاوي - (2 / 191)
 44 الأنعام 46
 45 الأعراف 58
 46 المثل السائر - أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلبي المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2 / 323). الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، 1995 تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
 47 المائة: 45."47
 48 لسان العرب - (8 / 419)
 49 مختصر المعاني- سعد الدين التفتازاني - (1 / 262)
 50 [النحل: 26]
 51 الأعراف: 40
 52 إعجاز القرآن للباقلاني - (1 / 262)
 53 إعجاز القرآن للباقلاني - (1 / 274)
 54 الحجر: 94
 55 مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لجنة إحياء التراث الإسلامي ط الثالثة، القاهرة 1996م. ج 1 (69- / 70)
 56 محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى أسرار التكرار في القرآن - الناشر: دار الاعتصام - القاهرة الطبعة الثانية، 1396 تحقيق: عبد القادر احمد عطا. (ص / 20)
 57 الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي إعجاز القرآن البياني ودلاشلا مصدره الرباني، الطبعة الأولى 1421هـ
 2000م دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن ص 188
 58 الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي إعجاز القرآن البياني ص 172
 59 الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي إعجاز القرآن البياني ص 172 / 173
 60 الذين يتكلمون عن الزيادة والتكرار درسوا آيات من قبيل:
 - فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ [البقرة: 196]
 - وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ [آل عمران: 187]

- قَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ [الفتح: 27]، وقد بين العلماء ما يعنيه ذلك من بعد بلاغي وجمالي بديع.

- 61 الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي إعجاز القرآن البياني ص 220
- 62 الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد دار الكتب العلمية. بيروت. (138 / 1)
- 63 الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد دار الكتب العلمية. بيروت. (138 / 1)
- 64 سيد قطب التصوير الفني في القرآن الطبعة السابعة عشرة 1425هـ 2004 م دار الشروق القاهرة مصر ص 36 [الجن: 2]
- 66 [الأحقاف: 30] [الأحقاف: 30]
- 67 فصلت 26
- 68 عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة 581 الروض الأنف في شرح غريب السير - (81 / 2)
- 69 أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البهقي (ت 458هـ) شعب الإيمان - الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م. (288 / 289).
- والآيات من سورة المدثر من الآية 11 إلى 26.
- 70 إعجاز القرآن للباقلاني (1 / 35).
- 71 أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي سنن الترمذي أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ رقم الحديث 2906 المحقق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي. بيروت 1998 م. (5 / 22)
- 72 الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة 807 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. طبعة دار الفكر، بيروت، 1412 هـ، (8 / 184)
- 73 النساء 82
- 74
- 75 الإسراء 70
- 76 أبو جعفر محمد بن جرير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ت شاكر - (ج 17 / ص 501) تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م. ص (224 - 310)
- 77 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ) الجامع لأحكام القرآن تحقيق: سمير البخاري الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: 1423 هـ / 2003 م. (ج 10 / ص 293)

- 78 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م. (ج 10 / ص 294)
- 79 العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - (467. 538 هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت سنة الطبع: 1407 هـ. (ج 2 / ص 680)
- 80 تفسير القرطبي - (ج 10 / ص 293)
- 81 تفسير القرطبي - (ج 10 / ص 294)
- 82 تفسير ابن كثير - (ج 5 / ص 97)
- 83 تفسير القرطبي - (ج 10 / ص 294)
- 84 التحرير والتنوير - (ج 15 / ص 164)
- 85 النساء 58
- 86 النحل 90
- 87 علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى: 975هـ) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال المحقق: بكري حياني - صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الخامسة 1401هـ/1981م. - (4 / 498)
- 88 محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الرزبيدي تاج العروس بلا سُوْطٍ ولا نُوْطٍ أَيّ بلا ضَرْبٍ ولا تَغْلِيْقٍ. وائْتاطَ به السُّيُّءُ؛ تَعَلَّقَ. تحقيق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية. (1 / 5025)
- 89 كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - (4 / 498)
- 90 المائدة: 8
- 91 تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية الحراني، أبو العباس مجموع الفتاوى المحقق: أنور الباز - عامر الجزار الناشر: دار الوفاء الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005 م. (ج 30 / ص 339)
- 92 الممتحنة: 8
- 93 تفسير القرطبي (ج 18 / ص 59)
- 94 تفسير الطبري - (23 / 321)
- 95 تفسير الطبري - (23 / 323)
- 96 الروم 22
- 97 تفسير ابن كثير ط العلمية (4 / 310-311)
- 98 تفسير ابن كثير ط العلمية (4 / 310-311)

99 تفسير البيضاوي (152/3)

100 الحديث أورده: محمد بن فتوح الحميدي في كتابه الجمع بين الصحيحين. عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام ولما بلغ سرعا لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة وأصحابه فأخبروه أن الشام نزل بها وباء فدعا عمر المهاجرين الأولين فاستشارهم وأخبرهم أن الباء قد وقع بالشام فاختلّفوا فقال بعضهم خرجت لأمر فامض إليه وقال البعض الآخر إن معك بقية الناس وأصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولا نرى قدومك بهم على هذا الباء ثم استشار الأنصار فاستشارهم فسلّكوا سبيل المهاجرين واختلّفوا كاختلافهم ثم دعا من خرج معه من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الباء. فنأى عمر في الناس إني مصبّحٌ على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة ابن الجراح أفراراً من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة وكان عمر يكره خلافه نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أ رأيت لو كانت لك إبلٌ فهبطت وادياً له عدوتان إحداها خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه قال فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف.

101 [البقرة: 256]

102 تفسير الطبري (5/ 407)

103 [يونس: 99]

104 [الكشاف (1/ 227)]

105 يونس: 99

106 ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تفسير البيضاوي دار النشر: دار الفكر

– بيروت (3/ 59)

107 النساء: 80

108 الأنعام: 107

109 الشورى: 48

110 فاطر: 8

111 الشعراء: 3

113 [البقرة: 136]

114 تفسير الطبري جامع البيان (ج 3/ ص 109)

115 [العنكبوت: 46]

116 التحرير والتنوير - (ج 21 / 22 / ص 5)

117 الإسراء: (53)

118 فصلت 34

119 النحل 125

120 [البقرة: 111]

121 [الأنبياء: 24]

122 [النمل: 64]

123 القصص: 75

124 درء تعارض العقل والنقل - (ج 1 / ص 133)

125 صحيح مسلم - (ج 1 / ص 15)

126 صحيح مسلم (ج 1 / ص 14)

127 الأنعام: 36

128 النجم: 32

129 النساء: 49

130 الإسراء - 36

131 يونس 64

132 النحل 89

133 النساء 95

134 الكهف 88

135 النجم 31

136 الرعد 29

138 الزمر 53

139 يوسف 87